التحجب في العراق القديم
واثره في الحياة العامة

عبد الرحمن يونس عبد الرحمن*

المقدمة:-

لم تكن ظاهرة تحجب النساء في المجتمعات القديمة ومنها المجتمع العراقي قد اخذت حيزا" واسعا" من الاهتمام في الكتابات المسمارية أو الادلة الاثارية مما انعكس على غموضها وعدم المعرفة بها بشكل واضح.ورغم ندرة المعلومات التي تتحدث عن هذه الظاهرة واسباب وجودها فأن هناك من المؤشرات والدلائل ما يبرهن على أهمية تأثيرها في المجتمع.وانطلاقا" من هذا المفهوم فان اختيارنا لهذا الموضوع يصب في تقديم وتحليل ما جادت به النصوص والادلة من معلومات وهي نادرة وقليلة جدا"لاثبات حقيقة ما كان عليه شكل الحجاب والشروط الواجب توفرها في النساء المتحجبات والاسباب التي دفعت الى التحجب وموقف القانون من كل ذلك.

وهكذا جاء البحث مقسما" على ثلاثة محاور. تناول الاول اصل كلمة التحجب ومعناها في اللغة العربية والاكدية، واحكام التحجب في القانون العراقي القديم ،واسباب التحجب، وشروطه، واشكاله. فيما تضمن المحور الثاني نماذج من اشكال التحجب في المنحوتات الاشورية والحثية والحضرية.اما المحور الثالث فكان مهتما" بما ورد عن التحجب في الشرائع السماوية(العهد القديم) و(القرأن الكريم).

المحور الاول:-

١- اصل كلمة التحجب ومعناها في اللغة العربية والاكدية :

ورد في معاجم اللغة العربية أن أصل كلمة(تحجب) جاءت من الفعل(حجب) بمعنى ستر أو منع ، فيقال مثلا" ان فلانا" حجبه من الدخول او حجبه من الميراث أي منعه ، ومنها اشتقت الكلمة(احتجب) أو(تحجب) ،أي امتنع

* كلية الفنون الجميلة/ جامعة الموصل.

أواستتر(*)، وقيل احتجبت الشمس في السحاب(†) أي غابت وباتت غير ظاهرة. وقد يتغير هذا المعنى تبعا" لموقع الكلمةومكانها في الجملة ، فقد تأتي بمعنى ولاية ، فيقال(حجب للامير) أي تولى له الحجابة ، واحتجبت المراة الحامل بيوم او يومين من تاسعها أي بمعنى تجاوزت من تاسع شهورها يوم أو يومين(‡).وفي القرأن الكريم وردت كلمة(حجاب) في أكثر من سورة لتدل في معناها على الستارأو الاستتار ، قال تعالى((... واذا سألتموهن متاعا" فسئلوهن من وراء حجاب...))(§)

واستنادا" لما ورد أنفا" وقدر تعلق الامر بموضوع البحث فان كلمة الحجاب أو التحجب قد جاءت لتدل في أحد معانيها على الاستتارأو الاحتجاب ، وهي ما تعكس في مدلولها ومضمونها صفة الشيء المحجوب.

وفي معاجم اللغة الاكدية ورد المصدر(بصان pasanu) للدلالة على فعل التحجب أو تغطية الرأس ومنه اشتقت كلمات عدة خاصة بما يعرف اليوم بالشال أو الحجاب(**).وقد جاءت هذه الكلمة في النصوص القانونية الخاصة بالتحجب بصيغ مختلفة منها الكلمة(pa-su-na-at-ma) وتعني محجبة ،(up-ta-sa-na-ma) وتعني تتحجب ،كذلك وردت بصيغة الجمع(pa-as-su-u-na-a)وتعني تحجبهن(††).

---

* انيس ابراهيم ، واخرون ، المعجم الوسيط ،(بيروت:١٩٩٠)،ط٢،ص١٥٦

† موسى بن محمد الملياني الاحمدي ،معجم الافعال المتعديةبحرف،(بيروت:١٩٧٩)،ط١،ص٤٥.

‡ المصدر نفسه،ص٤٥.

§ القرأن الكريم،سورة الاحزاب،أية:٥٣.؛أنظرمعنىالكلمة كذلك في السورالتالية،الاسراء،أية:٤٥،الاعراف،أية:٤٦،مريم،أية:١٧،الشورى،أية:٥١.

** C D A:Blak.J,And others,Aconcise Dictionary of Akkadian,(wies baden:2000) p.268:b.; AHW:soden.v,AKKadisches hand worter buch,(wies baden:1965),p.840.

†† حول اشتقاقات الكلمة وترجمتها بالحرف العربي انظر.عامر سليمان نماذج من الكتابات المسمارية ،(بغداد:٢٠٠٢)،ج١،مطبوعات المجمع العلمي ص٢٤٨-٢٤٩.

وهناك فرق بين الحجاب والنقاب في الشكل والمضمون ، فالكلمة الاخيرة مأخوذة من(النقب) وتعني الثقب في الشيء. وشيء نقيب أي منقوب.والنقبة تدل في معناها على اللون والوجه ومنه سمي نقاب المرأة لأنه يستر نقابها أي لونها ووجهها.وجاءت كلمة النقاب أيضا" بمعنى القناع على مارن الأنف ، فيقال تنقبت المرأة أو انتقبت أي لبست النقاب ، فاذا ما أدنت نقابها الى عينها سمي وصوصة واذا ما أنزلته طرف أنفها فهو لفام، وقد اسماه العرب اضافة الى ذلك بالبرقع وكان من ضمن لباس المرأة.(*) وانطلاقا" من هذا المفهوم فان النقاب هو مايدل في معناه على ستر وجه المرأة وتغطيته أو حجبه عن النظر دون سائر الجسم، وهو يختلف بذلك عن مفهوم شكل الحجاب كون الاخير ربما كان يراد به تغطية الرأس والجسم والوجه معا" أو دون الوجه والله أعلم. وهناك أكثر من رأي لجمهور علماء المسلمين بشأن حدود الحجاب وشكله في نظر الاسلام ، فمنهم من يلتزم القول أن جميع بدن المرأة هو عورة ولا يجوز الكشف عنه ويجب تغطيته بأكمله من أعلى الرأس وحتى أسفل القدمين ، في حين يذهب الرأي الاخر الى استثناء الوجه واليدين من عورة المرأة ويعد فيما عدا ذلك هو عورة.والجدير بالذكر أن لكل من هذين الرأيين اسانيده وادلته الشرعية التي لامجال لطرحها ومناقشتها في هذا البحث(†).

٢- أحكام التحجب في القانون العراقي القديم :-

تشير الادلة الاثارية المتوفرة أن ظاهرة التحجب قد ترجع بأصولها وجذورها الى تاريخ العراق القديم وحضارتها.تلك الحضارة التي كان لها سبق الفضل في سن القوانين وتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية واقرار الحقوق والواجبات لجميع أفراد المجتمع.وان ممالاشك فيه أنها كانت من ضمن العادات والتقاليد التي شاعت في العصور الاشورية وبالتحديد العصر الاشوري الوسيط.

---

* انظر ابن منظور،لسان العرب،(بيروت:١٩٥٦)،ج١،ص٧٦٥-٧٦٨.

† حول الحجاب والاراء التي جاءت بشأنه انظر الشيخ.محمد بن صالح العثيمين رسالة الحجاب،(القاهرة:٢٠٠٢).

وليس أدل على ذلك مما أشارت اليه القوانين الاشورية الوسيطة(*) لأحكام هذه الظاهرة وافرادها لمادتين من ضمن موادها القانونية لمعالجة قضايا متعلقة بأحكام التحجب.فقد جاء في نص المادة(٤٠) من القانون المذكور ما يلي :-((اما زوجات الرجل أو(الارامل) او(النساء الاشوريات)الذي يخرجن الى الشارع ان تكون رؤوسهن بدون غطاء. بنات الرجل ... سواء اكان حجابا ام قميصا ام(.....) ، يجب تحجبهن(.....) رؤوسهن(.....) اذا..... أو..... فليس(عليهن أن يتحجبن)،(ولكن) عندما يخرجن(.....)في الشارع +نهارا"، عليهن أن يتحجبن.السرية التي تخرج مع سيدتها في الشارع تكون محجبة وقد شت التي أخذها زوج تكون محجبة في الشارع ، والتي لم يأخذها زوج يكون رأسها بدون غطاء في الشارع ويجب ان تحجب. ولاتتحجب الزانية(و) يكون رأسها بدون غطاء.ومن يرى زانية محجبة عليه القبض عليها وقدم رجالا" شهودا"(و) يجلبها الى مدخل القصر.ولن يأخذوا حليها(ولكن) للذي قبض عليها يأخذ ملابسها. سيضربونها ٥٠ جلدة بالسوط(و) يسكبون قارا" على رأسها. واذا رأى رجل زانية محجبة وتركها تذهب ولم يجلبها الى مدخل القصر يضربون ذلك الرجل ٥٠ جلدة بالسوط والمخبرعنه وأن ياخذ ملابسه.ويثقبون اذنيه ويخيطوهما بالخيط(و) يربطونهما خلفه(و) يتم خدمة الملك شهرا" كاملا". ولايجوز أن تتحجب الاماء ومن يرى أمة محجبة عليه ان يقبض عليها(و) يجلبها الى مدخل القصر(و) سيصلمون اذنيها(و) يأخذ القابض عليها ملابسها. واذا رأى رجل أمة محجبة وتركها تذهب ولم يقبض عليها ولم يجلبها الى مدخل القصر واثبتوا(ذلك) عليه وادانوه يضربونه

* ترجع القوانين الاشورية الوسيطة بفترتها الزمنية الى العهدالاشوري الوسيط(١٣٦٥-٩١٠ ق.م)،ويعتقد انها دونت في الفترة الواقعة ما بين(١٤٥٠-١٢٥٠ ق.م)،وهي تضم تسعة الواح تم الكشف عنها من قبل جمعية الشرق الالمانية اثناء تنقيباتها في قلعة الشرقاط(اشور القديمة)خلال الفترة ١٩٠٣-١٩١٨م.وهي محفوظة حاليا"في المتحف الوطني في برلين الشرقية.انظر عامر سليمان،نماذج من الكتابات المسمارية(بغداد:٢٠٠٢)،ج١،مطبوعات المجمع العلمي،ص٢٢٧.؛ فوزي رشيد،الشرائع العراقية القديمة،(بغداد:١٩٨٧)،ط٣،ص١٨٠.

٥٠ جلدة بالسوط ويثقبون اذنيه ويخيطونه(ما) بالخيط ويربطونه(ما) خلفه.وسيأخذ المخبرعنه ملابسه(و) ويتم خدمة الملك شهرا" كاملا")).[*]

واستنادا"الى ما جاء في هذه المادة فان ظاهرة التحجب يبدو أنها فرضت قانونا" على نساء المجتمع الاشوري في فترة زمنية محددة أوجب فيها المشرع على المرأة الاشورية الحرة، متزوجة كانت ام غير متزوجة ارتداء الحجاب. ورغم عدم وجود ما يوضح ماهية الدوافع التي دفعت المشرع العراقي القديم الى اصدار مثل هذه المادة في القانون الاشوري الوسيط حصرا" دون غيره من القوانين، الا انه من المحتمل ان تكون فكرة التحجب قد ارتبطت بدوافع اجتماعية واخلاقية تتعلق بكثرة النسوة من البغاء والاماء وغيرهن ممن وقعن في الاسر اثناء الحروب الاشورية([†])،مما كان ينبغي اللجوء الى ضرورة تحصين المجتمع وفرز نسائه من الاحرار عن باقي النساءمن الفئات الاخرى.

ولكي يثبت القانون دوره في هذا المجال فانه لم يكن ليسمح للنساء من الاحرار بالخروج من منازلهن دون ارتداء الحجاب ليكون بذلك علامة دالة بين افراد المجتمع يمكن من خلاله تمييز المرأة ومعرفة انتمائها الطبقي ومنزلتها الاجتماعية. ولم يحدد القانون اية عقوبة للمرأة الحرة فيما لو امتنعت عن لبس الحجاب وخالفت بذلك نص المادة القانونية، على العكس مما جاء فيها من عقوبات ، بحق المخالفين من نساء الفئات الاخرى([‡]) ، وربما قد يكون المركز الاجتماعي للمراة الحرة هو الذي حال بينها وبين اصدار العقوبة بحقها ، أو قد يكون القانون قد اغفل ذلك عمدا" لتصوره مسبقا" بما قد يترتب على المرأة نتيجة عدم ارتدائها الحجاب من اثار سلبية تمس كرامتها وحريتها في المجتمع ، ومن المحتمل ايضا" ان تكون العقوبات الجزائية قد انيطت مسؤوليتها الى الاباء

---

[*] عامر سليمان،نماذج من الكتابات المسمارية،المصدر السابق،ص٢٥١

[†] Driver,G.A,And miles,T,The Assyrian Laws,(oxford 1935).p.127

[‡] Driver ,opcit,p.129

والازواج باعتبارهم أرباب الاسر والبيوت وبالتالي فهم المسؤولون بشكل مباشر عن تصرفات نسائهم وبناتهم ومعاقبتهم على أخطائهم اذا ما دعت الضرورة لذلك[*].

ومن اجل مراعاة الجانب الاعتباري للحرائر من النساء فقد سمح القانون للسرية التي تخرج مع سيدتها بالتحجب تجنبا" للمضايقات التي قد تحدث لاسيما في الاماكن العامة والاسواق. كذلك سمح للمراة المحظية بارتداء الحجاب في حالة وقع عليها الاختيار من قبل سيدها لتصبح زوجة ثانية له ، وعلى الزوج في هذه الحالة ان يتعهد في عقد زواجه بعدم الزواج مرة ثانية من امراة محظية طيلة حياته الزوجية[†]وفي الوقت الذي شدد فيه القانون على ضرورة الالتزام بتطبيق هذه المادة وفق احكامها القانونية ، فانه لم يكن ليسمح لنماذج وفئات معينة من نساء المجتمع بارتداء الحجاب طالما كان ذلك يتعارض مع الاهداف التي من اجلها فرض القانون هذه الظاهرة. فالزانية مثلا" لايحق لها التحجب كونها عاهرة وذات اخلاق ساقطة يتنافى سلوكها وتصرفها وقيم المجتمع التي حاول القانون من خلال بعض الاعتبارات ومنها التحجب كما يبدو الحفاظ عليها. كذلك منع القانون تحجب الاماء من النساءباعتبارهن من فئة العبيد ولاينبغي لهن باي شكل من الاشكال الارتقاء بحقوقهن الى مصاف حقوق المراة الحرة. ولكي يمنع القانون من التجاوز على هذه المادة ويضمن تطبيقها فانه الزم الافراد قانونا" بمسؤولية القبض على كل أمة أو عاهرة محجبة وتقديمها للمحاكمة بعد اثبات الشهود بذلك لنيل جزائها مقابل مكافأة يحصل عليها الشخص الذي امسك بها وتتمثل باخذ ملابسها.وقد حدد القانون عقوبة العاهرات من النساء فضلا" عن أخذ ملابسهن ، بجلدهن خمسون جلدة بالسوط، وصب القار فوق رؤوسهن ، فيما كانت عقوبة الاماء كما يبدو أخف وطأة من ذلك اذ اقتصرت فقط على أخذ ملابسهن وصلم اذانهن. وربما قد يكون هذا الاختلاف في تحديد العقوبة يرجع سببه الى كثرة شيوع الاثم الذي ترتكبه البغايا وتكراره مما دفع المشرع الى تشديد العقوبة للحد من ذلك ، في حين كانت

---

* Ibid,p.129

† Ibid,p.128

الاماء اقل تجاوزا" وخرقا" لاحكام هذه المادة بسبب احكام السيطرة على تصرفاتهن من قبل أسيادهن او سيداتهن ومنعهن من الخروج الا بعلمهن. واذا ماثبت عكس ذلك وخرجت الامة بحريتها وبعلم سيدها فان جزء من الاثم قديقع عليه باعتباره المسؤول عنها وعن تصرفاتها داخل المنزل وخارجه.[*] وفي الوقت الذي شدد فيه القانون على عقوبة الزانية المحجبة ، فانه لم يؤكد ادانتها الا بعد اثبات الشهود بذلك ، وربما كان انتماءها الطبقي الى فئة الاحرار هو الذي دفع بالمشرع الى الاقرار بذلك والسماح بتقديم الشهود للتأكد من جرمها قبل اصدار العقوبة بحقها في حين لم يكن القانون ليسمح بذلك اثناء محاكمة الاماء المتحجبات. واكتفى بادانتها في حالة ثبوت تلبسها بالجرم المشهود.[†]

ولم تكن المكافاة التي حددها القانون للشخص الذي يقبض على زانية او امة محجبة مشجعة للافراد للقيام بهذا الدور بقدر ما كان الخوف من المسؤولية الجزائية المترتبة على الشخص الذي يرى أمة أو عاهرة محجبة ولم يسع للقبض عليها وتقديمها للقصر من اجل المحاكمة ، واعتبرالقانون ذلك اخلالا" يضر بالمجتمع وافراده وتوعد أولئك الاشخاص بانزال العقوبات القاسيةبحقهم والتي وصلت بدرجتها عقوبة مرتكبي الجرم وربما اكثر ، كجلدهم بالسوط ، وثقب اذانهم وتخبيطها وربطها خلف أذانهم ، والخدمة في قصر الملك مدة شهر كامل دون اجر، واخذ ملابسهم. واذا كان العمل الاجباري دون مقابل(السخرة) معمولا" به في القانون الاشوري ومقررا" كجزء من العقوبات التي يتحملها الجاني[‡] ، فاننا نقف حائرين امام عقوبة اخذ الملابس والتي تكررت في هذه المادة دون معرفة المغزى الحقيقي من ورائها. وقد نجد ضمن نصوص التعليمات الخاصة بالقصر الملكي ما يماثل هذه العقوبة ايضا"والتي كانت تصدر بحق الشخص الذي ينظر الى امرأة

---

* Ibid,p.132

† Ibid.p.132

‡ عباس العبودي،القانون في العراق القديم والشريعة الاسلامية،(موصل:١٩٨٥)ص١٢٥

القصر وهي عارية الاكتفاف(*) وربما تكون هذه العقوبة لها ارتباط بالجانب السلوكي والاخلاقي مادفع المشرع الى ادراجها ضمن العقوبات الاخرى المنصوص عليها في القانون.

واذا كانت هذه المادة قد نصت صراحة واعترفت بوجود ظاهرة التحجب وانتشارها بين أوساط المجتمع الاشوري ، فان هناك من يعتقد بوجودها أيضا" خارج بلاد أشور وبالتحديد في بلاد بابل(†) وقد يؤيد هذا الاعتقاد ماورد في احد النصوص من العصر البابلي القديم من ان غطاء الرأس كان من ضمن الهدايا التي كانت تقدمها العائلة الابنتها اثناء زفافها. ومما جاء فيه((... خاتم واحد وخمسة شيقلات من الذهب على شكل أقراط، خاتم من الفضة يزن شيقلا" واحد، ١٨٠ لتر من الدقيق، وست من الإماء إحداهن مرضعة فضلا" عن الملابس المزركشة والصناديق الخشبية واربعون غطاء للرأس ...))(‡) كذلك نجد في العهد القديم مايشير الى معرفة البابليين بظاهرة التحجب حيث نقرأ العبارة التالية:((انزلي واقعدي على التراب ايتها البكر بنت بابل اقعدي على الارض فانه لاعرش لك يابنت الكلدانيين ... خذي الرحى واطحني الدقيق اكشفي نقابك وشمري الذيل...)).(§)

ورغم عدم تطرق القوانين البابلية لظاهرة التحجب الا انه من المحتمل انها كانت ضمن عادات سكان البلاد وتقاليدها وربما كانت ظاهرة طبيعية لم تدع الحاجة الى سنها في قانون كما هي الحال في القانون الاشوري الوسيط.

٣- أسباب التحجب :-

---

* Martha T.Roth,Law collections from Mesopotomia and Asia Minor,scond edition,V,6,(Georgia:1997),P.206

† ver,opcit,p.127

‡ نقلا" عن أحلام سعد الله الطالبي ، هدايا الزواج عند سكان بلاد الرافدين ، مجلة اداب الرافدين، العدد ٣٧ ، ٢٠٠٣ ،ص٥٩.

§ العهد القديم ، نبوءة أشعيا ، اصحاح:٤٧ :١-٣.

ليس من السهولة بمكان التعرف على الأسباب الحقيقية التي دفعت المجتمع الآشوري الوسيط إلى احتضان ظاهرة التحجب والتمسك بها وإلزامها لفئة معينة من نساء المجتمع وصياغة المفاهيم القانونية بشأنها. وقد لا تبدو الأدلة واضحة في معرفة ما إذا كانت تلك الأسباب هي أسباب دينية فرضتها طبيعة المنطقة وخصوصيتها سيما وان مدينة أشور[*] كانت تعد من اكثر العواصم الآشورية مكانة من الناحية الدينية ،[†]أم أسباباً أخلاقية سلوكية ارتبطت بعادات النساء وتقاليدهن الآشوريات ورغبتهن في لبس الحجاب.

وقد تكون الأسباب القانونية هي الأخرى التي دفعت إلى فرض هذه الظاهرة على فئة معينة من نساء المجتمع الآشوري(الأحرار) وحددت لها من ضمن الحقوق والواجبات ارتداء الحجاب وميزتها عن فئة(العبيد)[‡]. وما أشار إليه القانون الآشوري الوسيط من توضيح لاحكام هذه الظاهرة وبيان تفاصيلها وفرض العقوبات بحق المخلين من النساء بضوابطها إلا مؤشر على ترجيح أن تكون الأسباب التي دفعت بالنساء الآشوريات إلى التحجب هي أسباب قانونية ، ربما كان الهدف منها هو حصانة المرأة الحرة وتشخيص انتمائها الطبقي وفرزها عن بقية نساء المجتمع من الفئات الأخرى وعدم التعرض لها.

وقد نجد في نظرة الإسلام للحجاب ما يعزز هذا الرأي ويرفع من قدر المرأة الحرة ومكانتها في المجتمع ،قال تعالى :"ياأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ..."[§] وجاء

---

[*] مدينة أشور من العواصم الاشورية ذات الاهمية الدينية تميزت بكونها مركز عبادة اله الاشوريين القومي(أشور ، وتقع اطلالها اليوم على بعد ١٢٠ كم جنوبي الموصل وتعرف(بقلعة الشرقاط). انظر عامر سليمان ، أزهر السماك ، واخرون ، محافظة نينوى بين الماضي والحاضر(موصل:١٩٨٦)ص٣٩.

[†] انظر عامر سليمان،واخرون،محافظة نينوى بين الماضي والحاضر،المصدر السابق،ص٣٩.

[‡] حول فئات المجتمع العراقي القديم والمركز الاجتماعي والقانوني لكل فئة انظر.عامر سليمان،القانون في العراق القديم،(بغداد:١٩٨٧)ط٢،ص٤٣-٨٣.

[§] القران الكريم،سورة الاحزاب،اية:٥٩.

في تفسير هذه الآية أن فجار آهل المدينة كانوا يتعرضون للنساء في طرقات المدينة ليلا" أثناء خروجهن لقضاء حاجتهن ، فإذا ما رأوا المرأة ترتدي جلبابا" عرفوا أنها من النساء الأحرار فلم يتعرضوا لها، وإذا مارأوها بدون جلباب عرفوا أنها من الإماء فوثبوا عليها(*).

ويتبين من خلال ذلك أن الحجاب كان مظهرا" من مظاهر المرأة الحرة وعاملا" من عوامل عدم التعرض لها أو ايذائها، ولم يكن ليسمح للإماء أو غيرهن من النساء العاهرات بارتدائه حفاظا" على مقومات المجتمع الحر وحماية لمركز المرأة الاجتماعي ودورها في الحياة العامة.(†) وهذا ما لاحظناه بشكل واضح في نص المادة(٤٠) من القوانين الآشورية الوسيطة(‡) والتي منعت بموجبها الإماء والعاهرات من لبس الحجاب وفق معايير ومقاييس اجتماعية أخذت بنظر الاعتبار في تلك الفترة.

٤- شروط التحجب :-

يبدو من قراءة نص المادة(٤٠) أن القانون الآشوري الوسيط لم يترك ظاهرة التحجب دون أن يلتفت إلى ضرورة وضع الشروط والضوابط التي من شأنها أن تحكم هذه الظاهرة انطلاقا" من حرصه على ضرورة الالتزام بها. ولعل من أهم تلك الشروط التي نص عليها القانون و أوجبها على المرأة الآشورية لنيل هذا الشرف هي أن تكون من فئة الأحرار، متزوجة كانت أم أرملة أم فتاة بكراً(§).ومع أن هذا الامتياز كان حكرا" على هذه الفئة من المجتمع دون غيرها إلا أن القانون سمح أيضا" للمحظيات من النساء(اشرتو Eširtu)(**) بالتحجب وفق شروط

---

* ابن كثير،تفسير القران العظيم،(بيروت:١٩٨٠)مجلد ٣،ص٥١٨.

† المصدر نفسه.

‡ راجع نص المادة في ص٧.

§ راجع نص المادة في ص٧.

** جورج كونتينو،الحياةاليوميةفي بلاد بابل واشور(نيويورك.١٩٥٩)ترجمة سليم طه التكريتي(بغداد:١٩٨٦)ط٢،ص٣٦.؛وردتعليق المترجم في هامش الصفحة(٣٦)، ان الكلمة

محددة وفي أوقات معينة ،منها إذا خرجت المحظية برفقة سيدتها خارج المنزل لقضاء حاجة معينة فعليها أن ترتدي الحجاب.(*) ويبدو أن المشرع أراد من ذلك رفع الجانب الاعتباري للمرأة المحظية في حالات خاصة احتراما" لسيدتها وحصانة لها ولمكانتها الاجتماعية.

كذلك أجاز القانون–وضمن شروط– محددة السماح للمرأة المحظية بارتداء الحجاب إذا ما ترشحت للزواج من سيدها، ويتم ذلك وفق مراسيم خاصة يقوم خلالها الشخص الراغب بالزواج وأمام عدد من الشهود بإعلان تحجب سريته ثم زواجه منها. وقد وضحت المادة(٤١) من القانون الآشوري الوسيط هذه الآلية حيث جاء في نصها انه " إذا أراد رجل أن يحجب سريته عليه أن يحضر خمسة آو ستة من جيرانه(و)يحجبها أمامهم(و) يقول:– أنها زوجتي ،(و) تصبح زوجته.(أما) السرية التي لم تحجب أمام الشهود ولم يقل زوجها "إنها زوجتي "(فإنها) ليست زوجته وتبقى سرية ".(†)

ويبدو من خلال نص هذه المادة أن مسألة تحجب النساء المحظيات كانت مرهونة بالزواج من رجل حر، وليس هذا فحسب ،فان الزوج إن لم يعلن أمام الملأ أنها زوجته فإنها لن تصبح كذلك ولن يسمح لها بالتحجب حتى وان كانت متزوجة منه سرا". وقد يعكس هذا التصرف بلا شك أهمية الحجاب وأثره في الحياة العامة ويعطي للمرأة المتزوجة مكانتها المميزة في المجتمع ويثبت استحقاقها في الحياة الحرة الكريمة(‡).

ومع ذلك ورغم هذا الامتياز الذي تحصل عليه المرأة المحظية بعد إعلان الارتباط بسيدها كونها زوجة له ، فإنها لا يمكن أن تصل بمركزها الاجتماعي

البابلية (اشرتو Eširtu)والتي تعني المحظية او السرية ربماتقابل في المعنىالكلمةالعربية(عشيرة)المأخوذة من المعاشرة.(المصدر نفسه)

* المصدر نفسه ، ص٣٦.

† عامر سليمان،نماذج من الكتابات المسمارية،المادة:٤١،ص٢٥٢

‡ سهيل قاشا،المرأة في شريعة حمورابي،(موصل:١٩٨٤)،ص١٥٦.

ومكانتها في المجتمع إلى مصاف ومكانة الزوجة الشرعية الأولى لاعتبارات أدبية ومعنوية وأخلاقية كونها أولا" وأخيرا" من نساء الدرجة الثانية وأنها كانت تعمل في بيت زوجها أو سيدها وبالتالي لابد لها حتى بعد زواجها أن تكون مخلصة ووفية لسيدتها الأولى وراعية لمصالحها[*].

٥- أشكال التحجب :-

لايوجد في النصوص المسمارية والآثار المادية في العصر الآشوري الوسيط ما يوضح ماهية شكل الحجاب وارتدائه رغم أن القوانين الآشورية الوسيطة قد أفردت مادتين لهذه الظاهرة وفصلت في إحداها مما كان ينبغي بيان شكل الحجاب وطريقة ارتدائه من قبل نساء ذلك العصر. ورغم افتقار المعلومات للإشارة إلى ذلك ومعرفة ما إذا كان المقصود بالحجاب هو العباءة التي تغطي الجسم بكامله مع الرأس ،أم كان يقتصر على غطاء الرأس والوجه، وهو الاحتمال الأقل ترجيحا" لدى بعض الباحثين[†] ، فان هناك من الدلائل والمؤشرات والمقارنات ما يجعل الاحتمال الأول اكثر ترشيحا" وقبولا" وترجيحا" في تحديد شكل الحجاب وطريقة ارتدائه. واعتمادا" على نماذج المنحوتات التي جاءتنا من فترة العصر الآشوري الحديث[‡] وبالتحديد من عهد الملكين(تكلا تبليزرالثالث)[§] و(سرجون

---

[*] جورج كونتينو ،المصدر السابق،ص٣٧.

[†] فاضل عبد الواحد،عامر سليمان ،عادات وتقاليد الشعوب القديمة،(بغداد:١٩٧٩)،ص٧٦.

[‡] العصر الاشوري الحديث،يعد من ابرز العصور المشرقة في تاريخ العراق القديم والتاريخ الاشوري بشكل خاص،امتد للفترة ما بين(٩١١-٦١٢ق.م)وفيه تعاظمت قوة الاشوريين عسكريا" وتالقوا سياسيا"وازدهرت بلادهم اقتصاديا".انظر عامر سليمان،العلاقات السياسية الخارجية،حضارة العراق(بغداد:١٩٨٥)،ج٢،ص١٣٩.

[§] تكلاتبليزرالثالث،حكم للفترة(٧٤٥-٧٢٧ق.م)ضمن الفترة الاشوريةالحديثة وتمكن خلال فترة حكمه ان يقضي على بؤر الفتن والاضطرابات داخل العراق وخارجه وان يحكم السيطرة على جميع البلاد.انظر. أحمد زيدان خلف الحديدي، الملك الاشوري تجلاتبليزر الثالث(٧٤٥-٧٢٧ ق.م) رسالة ماجستير غير منشورة موصل : ٢٠٠٢.

الثاني)[*] والتي اغلبها لنساء أسيرات،وبقية المنحوتات التي عاصرتها أو التي أعقبتها، يمكن أن نستشف أساليب ارتداء الحجاب أو العباءة وكذلك الأشكال التي كانت عليها آنذاك والتي تبدو في معظمها عبارة عن شال تلبسه المرأة فوق ثيابها لتغطي به رأسها ومعظم جسدها دون وجهها ،وأحيانا يكون غطاء الرأس مفصولا" عن العباءة أو الشال مما يأخذ شكلا" آخر في طريقة ربطه أو ارتدائه[†].

وأتحفتنا جداريات النحت البارز في قصر الملك أشور بانيبال[‡] بمنحوتة جدارية أخرى تصور امرأة ترتدي ملابس طويلة ذات نهاية مزركشة وفوقها عباءة تغطي جسدها وهي تسير أمام عدد من الجمال ،ويعتقد بأنها الملكة(شمسة) ملكة العرب التي تأسرت أثناء الحملات العسكرية التي قام بها الملك تكلا تبليزرالثالث في بعض حروبه ضد سكان الجزيرة العربية[§].

---

[*] سرجون الثاني،احد ملوك العصر الاشوري الحديث حكم ما بين(٧٢١–٧٠٥ق.م)وقضى معظم فترة حكمه بالحروب والفتوحات التي توجها بفتح مدينة السامرة وقضائه على مملكة اسرائيل.عمرانيابنى له عاصمة جديدة اسماها(دور شروكين)والتي تعرف اليوم باسم خرسباد.انظر. قاسم محمد علي، سرجون الاشوري(٧٢١–٧٠٥ ق.م)،رسالة ماجستير غير منشورة،بغداد:١٩٨٣.

[†] Madhloom,T.A,The chronology of New-Assyrian Art,(London:1970),The Athlone press,p.73

[‡] اشوربانيبال،حكم للفترة(٦٦٩–٦٢٧ق.م)،تميزعهده فضلا"عناهتمامه بالاعمال العسكرية والحروب،بازدهار واضح في الحركة الثقافية والمعرفية عكست حبه وولعه بمختلف العلوم والمعارف،واليه تنسب اشهر مكتبة في العالم القديم والتي عرفت باسمه(مكتبة اشور بانيبال).انظر.رياض عبد الرحمن الدوري ، اشور بانيبال(٦٦٩–٦٢٧ ق. م)، سيرته ومنجزاته ، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد :١٩٨٦

[§] عبد العزيز حميد صالح ،صور من البسة العرب في العصر الجاهلي،(سومر:١٩٨٢)مجلد ٣٨،ج١–٢،ص١٥١.

وتمدنا المنحوتات الحثية أيضا" بفكرة عن شكل الحجاب أو العباءة وطريقة ارتدائها. ويشير في ذلك أحد الباحثين بان الحجاب لم يكن في الواقع ليغطى به الوجه دائما" وان النساء كنّ يرتدينه لتغطية الجسم والرأس معا".[*]

وقد يعكس اللوح المكتشف من مدينة(كركميش)[†] والذي يعود بتاريخه إلى القرن السابع ق.م هيأة الحجاب وشكله وهو يصور مجموعة نسوة في موكب وقد ارتدين عباءة غطت بها الرأس والجسم دون الوجه.[‡] وهناك نموذج آخر من الفترة نفسها يصور امرأة أسيرة من مدينة لاخش اليهودية في فلسطين وهي ترتدي ثوبا" طويلا" وفوقه شال يغطي رأسها وجسمها[§].

ولعل هذا النوع من الحجاب قد نجد ما يماثله أيضا" في الشكل في بعض تماثيل نساء مدينة الحضر[**]،وان اختلف بعض الشيء في حياكة صنعه وطرزه الفنية وأسلوب ارتدائه تبعا" لخصوصية تلك الفترة وطبيعة الحياة الاجتماعية فيها، ويعتبر تمثال السيدة أبو بنت دميون من أروع نماذج فن النحت المجسم في مدينة الحضر،وهي مغطاة بقطعة قماش(خمار) ثبتت بأسلوب فني فوق ثوبها الجميل وغطت به جسدها ورأسها[††].

---

[*] جورج كونتينو،المصدر السابق،ص٣٤.

[†] كركميش،مدينة مهمة تقع على الفرات خارج حدود العراق،لعبت دورا" مهما" في التجارة العالمية مع دمشق وتدمر، وكانت حلقة وصل ربطت العراق القديم بساحل البحر المتوسط اثناء السيطرة الحثية وما بعدها،ثم اخضعت للسيادة الاشورية عام(٧١٧ق.م)من قبل الملك سرجون الثاني.انظر ليوا وبنهايم،بلاد ما بين النهرين،(شيكاغو:١٩٦٤)ترجمة سعدي فيضي(بغداد:١٩٨٦)ط٢،ص٤٨٣.

[‡] ماجد الشمس،رايات الحضر العربية(سومر:١٩٨٠)مجلد٣٦،ج١-٢،اللوح٢٦،ص٢٢٩.

[§] عيسى سلمان،الازياء الاشورية(بغداد:١٩٧١)،ص١٤٦.

[**] الحضر،مدينة تقع على بعد ١١٠كم جنوب غربي الموصل وكانت عاصمة لمملكة عربية تعرف باسم(عربايا)أي بلاد العرب.يبلغ قطرها ٢كم وهي على شكل مستدير ويحيط بها خندق وسور مزود بابراج ولها اربعة مداخل من اتجاهاتها الاربعة،ويعد الاله شمس او شمش من اشهر الالهة التي عبدت فيها :انظرفؤاد سفر،الحضر مدينة الشمس(بغداد:١٩٧٤).

[††] المصدر نفسه،ص٧١.

واستنادا" لذلك فان شكل الحجاب كما يبدو كان في معظم حالاته عبارة عن ازار طويل استخدمته المرأة فوق لباسها وكان يغطي رأسها وجسدها ،وما كشفت عنه نماذج المنحوتات يعطي تصورا" بان اغلب أشكال الحجاب كانت متماثلة نوعا" ما وان اختلفت بعض الشيء في مادة صنعها وأسلوب تطريزها بحكم طبيعة الفترة ومكانة المرأة ومركزها الاجتماعي. ولا يوجد هناك ما يوضح ضمن تلك النماذج أن النساء كن يرتدين الحجاب على هيأة(خمار) أي إسداله على الوجه ،وربما لم يكن الهدف منه ذلك بقدر ما كان ارتداؤه هدفا" اجتماعيا" وسلوكيا".

المحور الثاني:-

نماذج من أشكال التحجب في المنحوتات الآشورية والحثية والحضرية:-

نموذج رقم(١) :- يتحدد هذا الشكل كما مبين في الصورة(١) بنموذج امرأة من عهد الملك تكلا تبليزرالثالث(٧٤٥-٧٢٧ و.م) وهي تسير حافية القدمين وقد ارتدت فوق ملابسها المزركشة عباءة ذات شرابيب غطت رأسها وجسدها ، ويعتقد أنها الملكة شمشي ملكة العرب في الجزيرة العربية وقد تأسرت أثناء الحملات العسكرية على منطقة الجزيرة العربية واقتديت إلى بلاد أشور. انظر الصورة(١)

نموذج رقم(٢) :- يمثل عربة يجرها ثوران من عهد الملك تكلا تبليزرالثالث أيضا" وهي تقل عائلة صغيرة من ثلاثة أشخاص امرأتين وطفل ويظهر من خلال الصورة شكل الحجاب الذي يتدلى على جانبي الرأس والجسم وقد غطى جزءا" من ثوبهما البسيط.(انظر الصورة(٢))

نموذج رقم(٣) :- هذا الشكل لامرأة أسيرة من عهد الملك سرجون الثاني(٧٢٢-٧٠٥و.م) ترتدي ثوبا" طويلا" مزركشا" ذات أكمام قصيرة وفوقه شالين مزركشين أحدهما يغطي الرأس والرقبة ويتدلى إلى الخلف والآخر يغطي الكتف والظهر.(انظر الصورة(٣))

نموذج رقم(٤) :- يصور هذا الشكل امرأة أسيرة من مدينة لاخش اليهودية ترتدي بدلة طويلة فوقها عباءة غطت بها رأسها وجسدها ويرجع هذا الشكل إلى عهد الملك سنحاريب(٧٠٥-٦٨١و.م).(*)

نموذج رقم(٥) :- يتمثل هذا النموذج بلوح من مدينة كركميش يصور مجموعة نساء يرتدين إزارا" يغطي رؤوسهن ومعظم أجسداهن ويرجع بتاريخه إلى القرن السابع ق.م.(انظر الصورة(٥)).(†)

نموذج رقم(٦) :- من أروع نماذج تماثيل الحضر ، يمثل امرأة تدعى أبو بنت دميون وقد ارتدت ثيابا" طويلة تميزت بروعة جمالها وفوقها عباءة من القماش غطت رأسها وتدلت إلى الأسفل.(انظر الصورة(٦)) .(‡)

المحور الثالث:-

ماورد عن التحجب في الشرائع السماوية :-

لاشك ان ما جاءت به الشرائع السماوية على لسان الانبياء والرسل يعكس طبيعة المنهج الذي اراده الله عز وجل لعباده على هذه البسيطة منذ أن خلقها والى ان تقوم الساعة. ورغم ان الكتب السماوية نزلت متفرقة وفي أوقات مختلفة حسب مشيئة الخالق عز وجل وتبعا" لطبيعة الزمان والمكان وخصوصية الاقوام التي نزلت فيهم واختيار الرسل لهم الا انها بقيت محافظة على طبيعة المنهج الذي نزلت من اجله. قال تعالى((وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم))(§) وانطلاقا" من هذا المفهوم فان ما ورد عن التحجب او التبرقع في الشرائع السماوية لم تكن ظاهرة أفرزتها العادات والتقاليد القديمة أو نصت عليها القوانين والاعراف بقدر ما كانت مفاهيم ذات معاني روحية وأخلاقية سامية هدفت الى احتشام المرأة وصون مفاتنها

* عيسى سلمان،المصدر السابق،ص١٤٠-١٤٦

† ماجد الشمس،المصدرالسابق،لوح ٢٦،ص٢٢٩.

‡ فؤاد سفر،المصدر السابق،ص٧١.

§ القران الكريم،سورة ابراهيم،اية:٤.

وابعادها عن الشبهات.ولعل أول اشارة الى التحجب جاءت من العهد القديم حيث نقرأ((..... وقد خرج اسحق الى الصحراء للتأمل عند اقبال المساء فرفع طرفه ونظرفاذا جمال مقبلة. ورفعت رفقة طرفها فرأت اسحاق فنزلت عن الجمل ، وقالت للعبد من هذا الرجل الماشي في الصحراء للقائنا ، فقال العبد هو مولاي. فأخذت النقاب واستترت به .....))[*]. ونقرأفي موضع اخر من العهد القديم((..... واخبرت ثامار وقيل لها هوذا حموك صاعد الى تمنة ليجز غنمه. فخلعت ثياب ارما لها وتغطت بالخمار وتنقبت وجلست ...))[†].

وبعيدا" عن سرد مضمون هذه القصص وتفسيرها فان ما اشارت اليه العبارات انفة الذكر تدلل على ارتداء النساء للحجاب في فترة ربما ترجع تقريبا" الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان النبي اسحق(عليه السلام) قد عاش ضمن الفترة التي عاشها والده ابراهيم الخليل(عليه السلام) وهي القرن التاسع عشر قبل الميلاد[‡] ولا يستبعد ان تكون فكرة التحجب في العراق القديم او غيره من المناطق قد جاءت تاثيراتها مما ورد في العهد القديم سيما وان تلك النصوص قد سبقت غيرها من حيث الفترة الزمنية.[§]

واستنادا" لذلك فأن أقدم اشارة واردة عن تحجب النساء جاءت من الكتب السماوية ،وهي تعطي انطباع بأن شكل الحجاب وأهدافه وطريقة ارتدائه كانت تختلف عما ورد عن اشكال التحجب في العصر الاشوري. ولعل الوازع الديني والاخلاقي كان من اهم الاسباب التي دفعت بالنساء الى التحجب بهذه الكيفية وفرضت عليهن شكل الحجاب(النقاب) بما يحقق الغاية من ارتدائه وهو حجب النظر على مفاتن النساء.

وفي القران الكريم تأكيد واضح على مسألة الحجاب والتمسك به باعتباره احد المقومات الاساسية لصون كرامة المرأة والاسرة والمجتمع بالمفهوم الديني ،

---

[*] العهد القديم ،سفر التكوين،الاصحاح:٢٤،الفقرة٦٤-٦٧

[†] العهد القديم ،سفر التكوين،الاصحاح:٣٨،الفقرة١٤-١٥

[‡] حسن النجفي،المصدر السابق،ص١٩.

[§] Driver,op.c:t,p.133

حيث ورد في اكثر من سورة تأكيد على وجوب ارتداء النساء الحجاب او الخمار. قال تعالى((ياأيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلاليبهن))(*). وقوله تعالى في سورة اخرى.((وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمورهن على جيوبهن .....)).(†)

وتفسير الجلباب كما ورد في الاية الاولى ، عند ابن كثير هو الرداء الذي يكون فوق الخمار وهو ما يغطى به الرأس والوجه. وهو نفسه الخمار الذي ورد في الاية الثانية ويفسر معناه وهو مايخمر به أي يغطى به الرأس ويتدلى على جيب المرأة أي صدرها أو نحرها فلا يرى منه شيئا"(‡).

الخلاصة:-

ان ما أشارت اليه القوانين الاشورية الوسيطة بشأن تحجب النساء وما ألمحت اليه بعض المنحوتات الاشورية ، وان لم تكن غالبيتها لنساء اشوريات ، يعطي تصورا" بحقيقة هذه الظاهرة ومعرفة العراقيين القدماء بها. وان كان ذلك ضمن حدود ضيقة او فترات زمنية معينة.

ورغم ندرة المعلومات التي توضح الاسباب التي من اجلها اكتسبت ظاهرة التحجب أهميتها في المجتمع فانه يعتقد انها كانت اسبابا" قانونية واجتماعية تقوم على اساس التمايز الطبقي، وما جاءت به القوانين الاشورية الوسيطة من تفصيل لاحكام هذه الظاهرة وفرضها على فئة محددة من المجتمع وهم(الاحرار) وحرمان الفئة الاخرى منها وهم(العبيد) ومن ضمنهم النساء العاهرات ، الادليلا على ترجيح تلك الاسباب على غيرها.

وربما كان هدف المشرع من ذلك هو تعزيز حقوق المرأة الحرة باضافة حق جديد لها يرفع من مكانتها الاجتماعية ويميزها عن غيرها من النساء.وبعيدا" عن

---

* القران الكريم،سورة الاحزاب،اية:٥٩.

† القران الكريم،سورة النور،اية:٣١.

‡ ابن كثير،المصدر السابق،ص٥١٨.

الاهداف التي من اجلها تحجبت النساء ومقارنة مع واقعنا الحالي فان ما اقره الشرع الاسلامي في مسالة التحجب وفرضه على النساء المسلمات انما كان يهدف شكلا ومضمونا" الى تعزيز مكانة المرأة المسلمة الحرة وصون كرامتها وعفتها وابعادها عن الشبهات وتمييزها عن بقية نساء المجتمع سواء الاماء منهن او الاتي اتصفن بسوء أخلاقهن، وهي تكاد تكون ذاتها النظرة التي أكد عليها المشرع العراقي قبل اكثر من ثلاثة الاف سنة من الان رغم اختلاف الاهداف والتوجيهات والنيات.

وانطلاقا" من الدوافع التي فرضتها طبيعة الحياة الاجتماعية في العراق القديم والاسباب التي دفعت الى ارتداء الحجاب ، ولطالما كان الهدف منه هو تعزيز الجانب الاجتماعي لمكانة المرأة وليس الديني فاننا نستبعد ان يكون الحجاب قد اتخذ شكلا" مماثلا" لما هو معروف اليوم بالنقاب او الخمار.وقد يؤيد هذا الرأي هو عدم وجود نماذج من أشكال المنحوتات تمثل هذا الشكل من الحجاب. وتحليلا" للاشكال التي جاءت بها المنحوتات الاشورية والحثية وحتى الحضرية يمكن ان نتصور كيف كان شكل الحجاب في العراق القديم والمناطق المجاورة له والذي على الأغلب كان يتمثل في شكل عباءة طويلة تكون احيانا" ذات حياكة بسيطة واحيانا" اخرى مزركشة بطرز فنية وذات تقنية عالية في الصنع بحسب مكانة المرأة ومركزها الاجتماعي ، وعادة" ما كانت النساء تلجأ الى ارتدائه فوق ملابسها لتغطي به معظم جسدها ورأسها دون وجهها. ويبدو ان هذا التماثل في الشكل ترجع اسبابه الى امتداد نفوذ الدولة الاشورية واتساع علاقاتها مع العديد من الشعوب لاسيما في مناطق اسيا الصغرى والجزيرة العربية وسوريا وفلسطين.

Abstract

Veiling in Ancient Iraq and Its Influence in Daily Life

Abdulrahmān Y. Abdulrahmān *

Knowing that Middle Assyrian rules, obligated women to dress veils, sculptures of some Assyrian monuments, scarcely for women, indicate that the Assyrian knew veils even within limited scope.

Despite the little knowledge we have about the reasons for such a phenomeon in Assyrian society, it is assumed that the reasons were legal and social ones based on social status. Such an assumption is strengthened when reading the laws of Middle Assyrian era and their descriptions of limiting wearing veils to free people and excluding slaves and whores. The reason for such rules was promoting the privileges of free woman by adding this new law and to promote her status.

Moving away from the reasons of unveiling Assyrian women and coming to our recent time, we find that the obligations made by Islamic legislative system aim theoretically and practically at promoting the status of Muslim woman, preserving her pride, her honour similarly and distinguishing her from the rest of women in society like slaves or whores.

This view coincides with the view adopted by the ancient Iraqi legislator some 3000 years ago, regardless of the difference of aims, approaches and intentions.

* College of Fine Arts/ University of Mosul.